



عينة من الكتاب

(للتصفح والاطلاع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شيرلوك هولمز

لُغز النُّظارة الذَّهبيَّة

وثلث قصص أخرى

تأليف: آرثر كونان دويل

ترجمة: سالي أحمد حمدي

تحرير: رمزي رامز حسون



للترجمة
والنشر
الأجيال

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لأربع من قصص
شيرلوك هولمز المنشورة أول مرة عام ١٩٠٤

The Adventure of the Three Students
The Adventure of the Golden Pince-Nez
The Adventure of the Missing Three-Quarter
The Adventure of the Abbey Grange

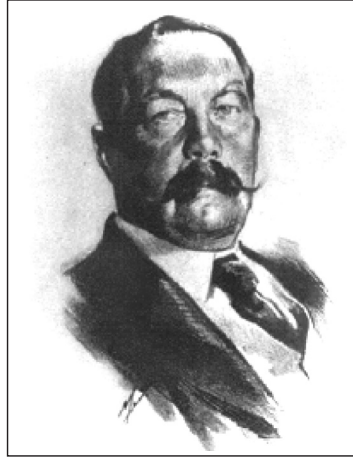
حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا
الكتاب بأي شكل أو بآية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو
إلكترونية أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الثانية

٢٠٢٠



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في سكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩ ، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجراحُ الشهير الدكتور جوزيف بلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جراحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرّته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورثسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه

إلى الكتابة أماً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجالات الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص، وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري. وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة في اللون القرمزي» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

واحدة من تلك الحوادث كانت عن رجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث بدّل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولما كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى

سكتلندا تغادر محطة كِنغز كروس عند منتصف الليل". وقد
عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس
الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوّهاً
ومحاضراً ناجحاً ومحاوِراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره
المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.



عام ١٩٠٠ تطوَّع الدكتور آرثر كونان دويل في حرب البوير (التي دارت في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجراحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولقبها «سير» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

توفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.





شيرلوك هولمز وعالمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهر الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرة مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بلّ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بلّ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومهّنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرح من الجيش حديثاً، وقد عدت لتوك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل".

وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من

هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحددها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨، وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (شارع بيكر، ٢٢١ب) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته



وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته وإطلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعدته الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَأيوِيَّةُ القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو، المحقق الشهير الذي ابتكرته أغانا كريستي). وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وحصل على شهادته الجامعية في الطب سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش وشارك في الحملة الأفغانية، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جُفسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة في اللون القرمزي»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكد يُحسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، هي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصية هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

في السنة التالية بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو) ١٨٩١، فقبولت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشُغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتي عشرة، نُشر

آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «مذكرات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرير عند شلالات رايشنباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة، وعنوانها «المشكلة الأخيرة»، في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على إعادة إحياء شيرلوك هولمز، فأعادته إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الفارغ» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد، فقد تبين أنه لم يُقتل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الفارغ) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شق طريقه بعد ذلك إلى بلاد التبت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كوليزز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقه. واستمر نشر سلسلة

«عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة رواية شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز: الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣. ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (١٩١٤/٩-١٩١٥/٥) التي حازت على إعجاب النقاد في كل الأوقات. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومَنسِيَّة ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب غير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من مؤلفات نحو مئة وستين، منها ستون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالم اسمه البروفيسور تشالنجر

(أشهرها رواية «العالم المفقود») ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

* * *



رسم شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسّام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ قصص هولمز منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بلّور صورة شيرلوك هولمز وطبّعها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسع ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأ في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الست الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في

عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور
لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨ ، وبلغ
عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زينت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسامين
آخرين ، فشارك في رسم السلسلة الجديدة «ذكريات شيرلوك
هولمز: الظهور الأخير» كل من وُلْتَر باجيت ، الأخ الأكبر
لسدني ، وآرثر تويدل وتشارلز هليدي وألك بول وجوزف
سمبسون وهنري بروك. أما السلسلة الأخيرة (قضايا شيرلوك
هولمز) فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم هوارد إلكوك وفرانك
وايلز وألفرد جليبرت.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند».
أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كوليرز» بعدد من الرسامين
أشهرهم فردريك دور ستيل ، ومنهم جوزف فريدرتش وريتشارد
غوتشمت ووليم هايد.

* * *

عودة شيرلوك هولمز

(٩)

مغامرة الطلاب الثلاثة

نُشرت للمرة الأولى في مجلة «ستراند» الشهرية

في عدد حزيران (يونيو) ١٩٠٤

وقعت عام ١٨٩٥ مجموعة من الأحداث التي لا أحتاج لذكرها بالتفصيل ، وتسببت في قضائنا ، أنا وشيرلوك هولمز ، عدّة أسابيع في واحدة من أعظم مدننا الجامعية. خلال ذلك الوقت وقعت تلك المغامرة الصغيرة (وإن كان فيها الكثير من الدروس) التي سأقصّها عليكم الآن.

من البديهي أن ذكر أية تفصيلات قد تساعد القارئ في تحديد الكلية أو التعرف على الجاني سيكون تصرفاً غير حكيم ، فقد كانت الفضيحة مؤلمة جداً ومن الأفضل أن نتركها لتموت بالتقادم ، ولكننا نستطيع وصف الواقعة نفسها مع الالتزام بالحذر ، فهي تُظهر بعضاً من تلك الصفات التي يتميز بها صديقي شيرلوك هولمز. وسوف أسعى في روايتي إلى تفادي أي من الأمور التي قد تحصر الأحداث في مكان محدد أو تشير إلى الأشخاص المعيّنين بالأمر.

في ذلك الوقت كنا نقيم في مسكن مفروش بالقرب من المكتبة العامة ، حيث كان هولمز يُجري بعض الأبحاث الجادة عن المعاهدات الإنكليزية القديمة ، وقد قادتنا تلك الأبحاث إلى نتائج قيّمة جداً ، حتى إنها قد تكون موضوعاً لإحدى قصصنا في المستقبل.

هناك زارنا السيد هلتون سومرز في إحدى الأمسيات ، وهو مدرّس ومحاضر بكلية سينت لوكس. كان السيد سومرز

رجلاً طويلاً نحيلاً سريع الاهتياج وصاحب مزاج عصبي، وقد عرفته دائماً في غاية الاضطراب، ولكنه بدا في تلك المناسبة بالذات في حالة من الانفعال الخارج عن السيطرة، مما أنبأ بحدوث أمر غير مألوف.

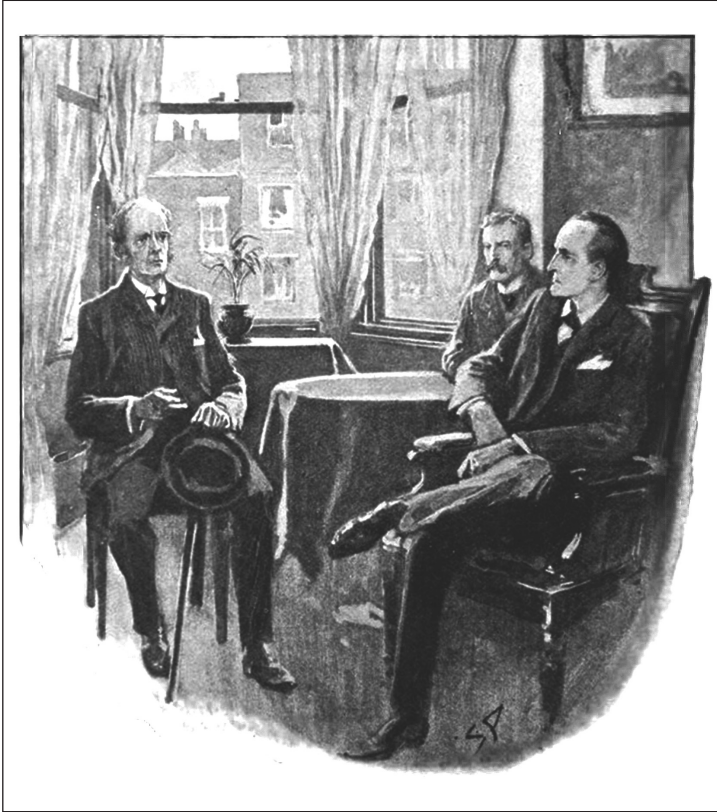
قال: أرجو أن تتمكن من تخصيص عدة ساعات من وقتك الثمين لي يا سيد هولمز. لقد وقعت عندنا حادثة مؤلمة جداً في كلية سينت لوكس، ومن حسن الحظ حقاً أنك موجود بالمدينة، وإلا لاحترت ماذا أفعل.

أجاب صديقي قائلاً: أنا في غاية الانشغال الآن ولا أرغب في أن يشتت انتباهي أي شيء، ولذلك أفضل أن تطلب عون الشرطة.

- لا، لا يا سيدي العزيز. إن اتخاذ مثل هذا الإجراء مستحيل تماماً، لأن الاستعانة برجال القانون ستُخرج الأمور عن السيطرة، وفي هذه القضية يجب اجتناب الفضيحة حفاظاً على سمعة الكلية، ومن المعروف أنك تكتم، بالإضافة إلى قدراتك الفذة، فأنت الرجل الوحيد الذي يستطيع مساعدتي في العالم. أرجوك أن تبذل جهدك يا سيد هولمز.

كان مزاج صديقي سيئاً بسبب حرمانه من البيئة التي يألفها في مسكنه بشارع بيكر، فقد أزعجه الابتعاد عن مواده الكيميائية وسجلات قصاصاته والترتيب الخاص لحياته. هذا كله جعله دائم الضيق، لذلك رفع كتفيه بقبول فطّ حين تدفقت قصة زائرنا في كلمات سريعة وإشارات منفصلة قائلاً: يجب أن

أوضح لك يا سيد هولمز أن غداً هو اليوم الأول لامتحانات
منحة فورتسكو الدراسية، وأنا أحد الممتحنين ومادتي هي
اللغة اليونانية. تحتوي أولى أوراق الامتحان على فقرة كبيرة
من الترجمة التي لم يَرها المرشحون للمنحة من قبل، وهذه
الفقرة مطبوعة على ورقة الامتحان، ومن الطبيعي أنه لو عرفها
المرشح مسبقاً فسوف يعطيه ذلك أفضلية هائلة، ولهذا السبب
بُذِلَ جهد كبير للحفاظ على سرّيتها.



Sidney Paget (1904)

رسم سدني باجيت (١٩٠٤)

وصلت مُسَوِّدة الامتحان من المطبعة في نحو الساعة الثالثة عصر هذا اليوم، ويتكون النص من نصف فصل من أحد مؤلفات ثوسيديس، وكان عليّ أن أقرأه بعناية لأنه يجب أن يخلو من الأخطاء تماماً. لم أكن قد انتهيت بعد من مهمتي في الساعة الرابعة والنصف، ولكنني كنت قد وعدت أحد الأصدقاء بتناول الشاي معه في مسكنه، فتركت المسوّدة في مكتبي وغبت أكثر من ساعة بقليل.

كما تعرف -يا سيد هولمز- فإن أبواب الكلية مصنوعة من خشب البلوط الصلب المتين، فلم أحسّ بأي قلق حتى رجعت إلى مكتبي، وحينما اقتربت من الباب ذهلت لأنني رأيت المفتاح في القفل! للحظة تخيلت أنني تركت مفتاحي سهواً، ولكن سرعان ما وجدته في جيبي عندما تحسسته. النسخة الوحيدة الأخرى من المفتاح يحملها خادمي بانيستر، وهو الرجل الذي يعتني بغرفتي منذ عشر سنوات وأمانته فوق مستوى الشبهات.

اكتشفت أن المفتاح هو مفتاحه بالفعل، وأنه دخل غرفتي ليسألني إن كنت بحاجة لكوب من الشاي، ثم ترك المفتاح عند خروجه بإهمال شديد. ولا بد أن دخوله إلى غرفتي كان بعد خروجي منها بعدة دقائق، ولو أنه نسي المفتاح في أي مناسبة أخرى لما كانت للأمر أهمية كبيرة، أما في هذا اليوم بالذات فقد تسبب نسيانه في عواقب وخيمة، ففي اللحظة التي نظرت فيها إلى طاولتي أدركت أن شخصاً ما قد عبث بالأوراق. عندما غادرتُ الغرفة تركت ورقات المسوّدة الثلاث

على الطاولة، ولدى دخولي كانت واحدة منها ملقاة على الأرض، وورقة على المنضدة الجانبية الصغيرة بجوار النافذة، وكانت ورقة ثالثة على الطاولة حيث تركتها.

تحرك هولمز للمرة الأولى منذ بدأ زائرنا حديثه وقال: أتوقع أن التي على الأرض هي الورقة الأولى، والتي كانت بجانب النافذة هي الثانية، والثالثة كانت على الطاولة حيث تركتها؟

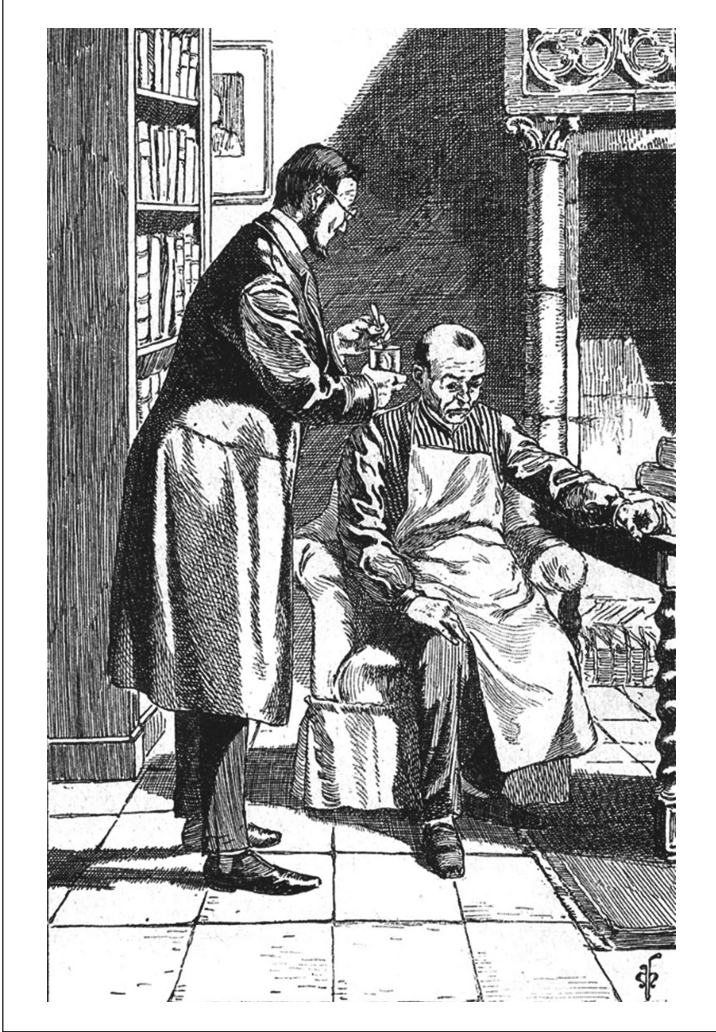
- تماماً يا سيد هولمز، أنت تُذهلني! كيف استطعت معرفة ذلك؟!!

- أرجو أن تكمل حكايتك المشيرة.

- تصورت للحظة أن بانستر منح نفسه حرية لا تُغتفر وتفحص أوراقى، إلا أنه أنكر ذلك بشدة، وأنا مقتنع بأنه يقول الحقيقة. الاحتمال البديل هو أن يكون شخص آخر قد مرّ بالغرفة فلاحظ المفتاح في القفل، ويبدو أنه عرف أنني في الخارج فدخل ليرى الأوراق. إن مبلغاً كبيراً من المال في خطر، فالمنحة ثمينة جداً، ومن الممكن أن يخاطر شخص منعدم الضمير كي يحظى بالأفضلية على زملائه.

انزعج بانستر جداً من الواقعة وكاد يفقد الوعي حين تأكدنا أن أحدهم قد تلاعب بالأوراق، فتركته منهاراً على أحد الكراسي وفحصت الغرفة بعناية شديدة، وبسرعة لاحظت أن الدخيل ترك بعض الآثار الدالة على وجوده بالإضافة إلى الأوراق المجدّدة، فقد وجدت على المنضدة الصغيرة بجوار

النافذة بقايا بزي قلم رصاص ومعها أيضاً رأس مكسور من سن القلم، وكان من الواضح أن النذل قد نسخ الورق بسرعة شديدة فكسر رأس قلمه الرصاص واضطُر إلى بزيه من جديد.



Martin Van Maële (1906)

رسم مارتن فان مال (١٩٠٦)

قال هولمز الذي تحسّن مزاجه بعد أن تزايد اهتمامه بالقضية: ممتاز، لقد حالفك الحظ.

- ليس هذا كل شيء، ففي الغرفة طاولة جديدة للكتابة سطحها أملس من الجلد الأحمر، وأنا مستعد للقسم (وكذلك بانيستر) أنه كان مصقولاً سليماً، لكنني وجدت فيه قطعاً واضحاً يبلغ طوله نحو ثلاث بوصات. وهو ليس مجرد خدش، بل إنه قطع طويل. لم يَنْتِه الأمر عند ذلك، فقد وجدت على الطاولة كتلة صغيرة من العجين الأسود أو الصلصال وفيها ذرات تشبه نشارة الخشب، وأنا متأكد أنّ من ترك تلك الآثار هو نفسه من عبث بالأوراق، ولم أشاهد آثار أقدام أو أي دليل آخر على هويته. كنت في أشد الحيرة حين خطرت لي فكرة مريحة، فقد تذكرت أنك في المدينة، فجئت رأساً إليك لأضع الأمر بين يديك. أرجوك ساعدني يا سيد هولمز، فأنت تفهم الورطة التي أنا فيها. عليّ أن أجد الرجل، وإلا فعليّ تأجيل الامتحان حتى أعدّ أوراقاً جديدة، وحيث إن هذا الأمر لا يمكن أن يتم دون تفسير فسوف تنتج عنه فضيحة شائنة تجلب العار، ليس فقط للكلية بل للجامعة كلها، لذلك فإنني حريص على حل المشكلة بتكتم وهدوء.

قال هولمز وهو ينهض مرتدياً معطفه: يسعدني أن أدرس القضية وأن أعطيك من النصائح ما أستطيع، فإنها لا تخلو ممّا يثير الانتباه. هل زارك أي شخص في غرفتك بعدما استلمت الأوراق؟

- نعم، الشاب دولات راس، وهو طالب هندي يعيش في

الطابق نفسه ، وقد جاء ليسألني عن بعض تفصيلات الامتحان.

- وهكذا أدخلته؟

- نعم.

- وهل كانت الأوراق على طاولتك؟

- نعم ، ولكنها كانت ملفوفة.

- ولكن كان من الممكن تمييزها كمسودة طباعة؟

- محتمل.

- ألم يدخل شخص آخر إلى غرفتك؟

- لا أحد.

- هل عرف أحد بأن تلك المسودة ستكون هناك؟

- لم يعرف بذلك إلا صاحب المطبعة.

- هل كان هذا المدعو بانيستر على علم بذلك؟

- لا ، بالتأكيد لا ، لم يعرف أحد.

- وأين بانيستر الآن؟

- لقد مرض المسكين ، وقد تركته منهاراً على الكرسي

واستعجلت بالقدوم لرؤيتك.

- وتركت بابك مفتوحاً؟

- لقد أغلقت على الأوراق أولاً.

- إذن فإن الأمر يتلخص في الآتي يا سيد سومز: ما لم يكن الطالب الهندي قد أدرك أن الورق الملفوف هو مسودة الامتحان فلا بد أن من عبث بها قد وجدها مصادفة دون أن يعلم مسبقاً بوجودها هناك.

- هذا ما يبدو لي.

ابتسم هولمز بغموض وقال: حسناً، لنذهب إلى هناك. هذه القضية لا تدخل ضمن تخصصك يا واطسون، فهي تحتاج إلى العقل لا العضلات. حسناً، تعال إن أردت. والآن نحن تحت تصرفك يا سيد سومز.

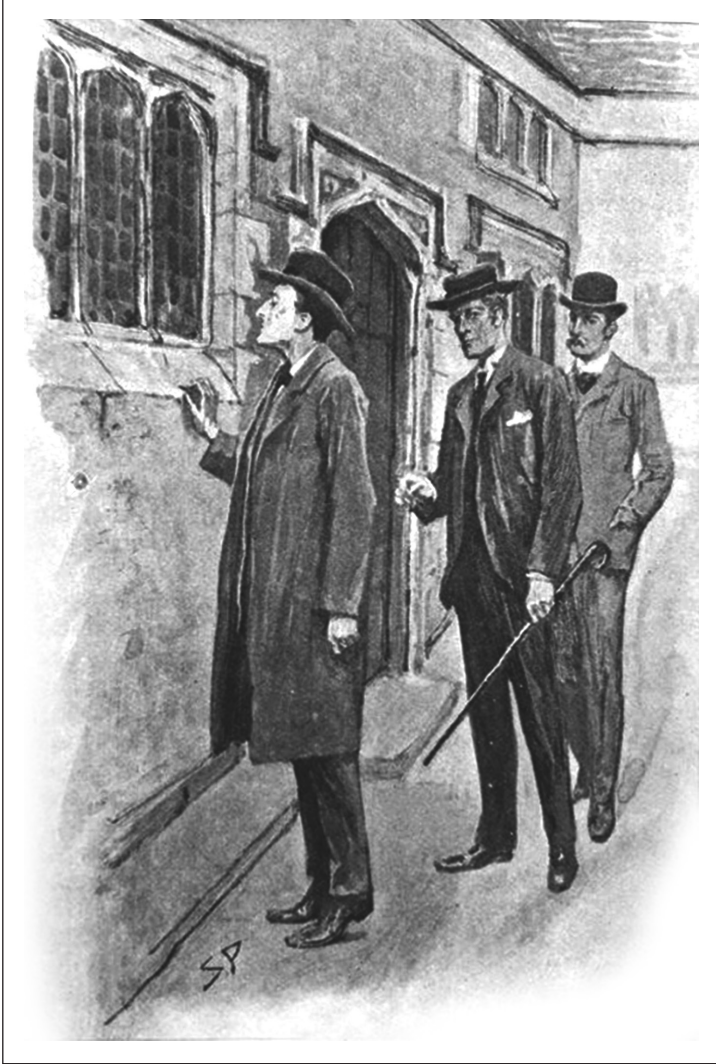
* * *

كانت نافذة غرفة عميلنا ذات مصراع طويل منخفض مغطى بالشبك ويطل على ساحة الكلية القديمة المغطاة بالنبات الأخضر، هكذا بدت من الخارج ونحن نقترّب من المكان. قادنا باب مقوّس على الطراز القوطي إلى درج حجري بالٍ حيث تقع غرفة في الطابق الأرضي، وفي الأعلى كان ثلاثة طلاب، واحد في كل طابق. وقد وصلنا إلى موقع الحادثة عند الغسق، فتوقف هولمز ونظر باهتمام إلى النافذة، ثم اقترب منها ونظر إلى الغرفة وهو واقف على أصابع قدميه وقد مدّ عنقه.

قال مرشدنا المثقف: لا بد أنه دخل من الباب، فلا توجد فتحة أخرى سوى الشباك الزجاجي الصغير.

قال هولمز: يا للدهشة!

وابتسم بطريقة غريبة وهو ينظر إلى مرافقنا ثم أكمل



Sidney Paget (1904)

رسم سدني باجيت (١٩٠٤)

قائلاً: حسناً، إذا لم يكن هنا في الخارج ما يستحق الفحص فمن الأفضل أن ندخل.

فتح المحاضر الباب الخارجي وقادنا إلى داخل غرفته، فوقفنا على المدخل في حين أخذ هولمز يفحص السجادة. قال: لا توجد هنا أي علامات، وليس هذا بالأمر الغريب في هذا اليوم الجاف. يبدو أن خادمك قد سُفِي تماماً، لقد تركته على أحد الكراسي كما قلت، فأيتها كان؟

- الكرسي بجوار النافذة هناك.

- بجوار تلك المنضدة الصغيرة؟ حسناً، يمكنكما الدخول الآن، فقد انتهيت من السجادة. دعونا نبدأ بالمنضدة الصغيرة، فما حدث واضح جداً بالطبع. لقد دخل الرجل وأخذ الأوراق ورقة بعد ورقة من فوق الطاولة الكبيرة، ثم حملها لتلك المنضدة بجوار النافذة لأنه سيكون قادراً عندئذ على رؤيتك عندما تأتي عبر الساحة، وهكذا ينجح في الهروب.

قال سومز: ولكنه لم يستطع رؤيتي في الحقيقة لأنني دخلت من الباب الداخلي.

- ممتاز. حسناً، على أية حال كان ذلك هو ما فكر فيه. دعني أشاهد الورقات الثلاث. ألا توجد بصمات للأصابع؟ لا! حسناً، لقد أخذ هذه الورقة أولاً ونسخها، فما الوقت الذي يستغرقه للقيام بذلك إذا استخدم كل الاختصارات الممكنة؟ ربع ساعة وليس أقل. بعد ذلك ألقى بها وأخذ التالية، ولم يكن قد انتهى منها عندما حملته عودتُك على

الانسحاب بسرعة شديدة، لدرجة أنه لم يمتلك الوقت الكافي ليعيد الأوراق إلى مكانها حتى لا تدرك أن شخصاً ما عبث بها. ألم تسمع صوت خطوات مسرعة على الدرج فيما كنت تدخل من الباب الخارجي؟

- لا أستطيع القول بأنني لاحظت ذلك.

- حسناً، لقد كان يكتب بحماسة شديدة لدرجة أنه كسر سنّ قلمه واضطّرّ إلى بَرِيهِ ثَانِيَةً كما ترى. الأمر مثير للاهتمام يا واطسون، فهذا القلم لم يكن من النوع العادي، فحجمه أكبر من المعتاد والرصاص لَيِّن، وقد كان لونه الخارجي أزرق داكناً وطُبع عليه اسم الصانع بحروف فضية، والقطعة الباقية منه طولها نحو بوصة ونصف فقط. ابحث عن قلم بهذه المواصفات يا سيد سومز وسوف تجد الرجل المطلوب، وحين أضيف أنه يملك سكيناً كبيراً جداً وغير حاد فهذا يعني عوناً إضافياً لك.

ارتبك السيد سومز أمام هذا الفيض من المعلومات وقال: أستطيع أن أفهم النقاط الأخرى، ولكن حقاً موضوع الطول هذا...

حمل هولمز قطعة صغيرة من القلم تحمل حرفي «بر» وبعدها مسافة خالية من الخشب، وقال: أترى؟

- لا، أخشى أنه حتى الآن...

- ماذا يمكن أن يعني هذان الحرفان؟ إنهما في نهاية إحدى الكلمات، وأنت تعرف أن أقلام جوهان فيبر هي أكثر

الأفلام شيوعاً. أليس من الواضح إذن أن ما بقي من القلم هو
الطول المعتاد بعد اسم فيبر؟

ثم رفع المنضدة الصغيرة قريباً من الضوء وأكمل: كنت
أتمنى لو كانت الورقة التي كتب عليها رقيقة، كانت إذن ستترك
أثراً على هذا السطح المصقول، ولكن لا، لا أرى شيئاً،
ولا أعتقد أن شيئاً بقي هنا لنكتشفه. لتتجه الآن إلى الطاولة
الرئيسية. أترضُّ أن هذه القطعة الصغيرة هي الكتلة اللينة
السوداء التي تحدثت عنها، وهي هرمية الشكل تقريباً ومجوَّفة
كما ألاحظ، ويبدو أن فيها ذرات من نشارة الخشب كما قلت.

ثم هتف: يا للدهشة! هذا الأمر مثير جداً! إنه قُطع كبير،
وهو يبدأ - كما أرى - بخدش دقيق وينتهي بشقٍّ مسنن. أنا
مدين لك لتوجيه انتباهي إلى هذه النقطة يا سيد سومز. إلى
أين يقود هذا الباب؟

- إلى غرفة نومي.

- هل دخلتها بعد تجربتك المثيرة؟

- لا، فقد جئت إليك مباشرة.

- أحب أن ألقى نظرة عليها. يا لها من غرفة جذابة
قديمة الطراز! أرجو أن تنكرما وتنتظراني لحظة حتى أنتهي
من فحص الأرض. لا، لا أرى شيئاً. وماذا عن هذه الستارة؟
أنت تعلق ملابسك خلفها، فلو اضطرُّ أحدهم إلى الاختباء في
هذه الغرفة فهذا هو المكان الوحيد المناسب لصنع ذلك، لأن

السرير شديد لانخفاض وخزانة الثياب ذات عمق بسيط. لا أحد هناك على ما أعتقد.

لاحظت بعض التصلب والترصد في وضعية جسم هولمز حين سحب الستارة، فأدركت أنه كان مستعداً لمواجهة أي طارئ، ولكنَّ سَحَبَهَا لم يكشف في حقيقة الأمر إلا عن ثلاث حُلل تتدلى من بعض المشاجب. بعد ذلك استدار هولمز وانحنى على الأرض فجأة وصاح بدهشة: ما هذا؟!

كانت كتلة سوداء صغيرة هرمية الشكل من مادة تشبه المعجون، تماماً كتلك التي كانت على الطاولة في المكتب. وضعها هولمز في كَفِّه المفتوح ورفعها تحت الضوء قائلاً: يبدو أن صديقنا ترك آثاراً في غرفة نومك مثلما فعل في غرفة الجلوس يا سيد سومز.

- وماذا كان يريد من غرفة نومي؟

- أظن أن الأمر واضح تماماً، فقد عدتَ من طريق غير متوقع، فلم ينتبه إلا وأنت قد وصلت إلى الباب، فماذا كان يستطيع أن يفعل؟ لقد التقط كل ما يمكن أن يورطه وأسرع إلى غرفة نومك ليختبئ فيها.

- يا إلهي! أتريد أن تخبرني - يا سيد هولمز - أن الرجل كان تحت أيدينا في غرفة النوم طوال الوقت الذي كنت أتحدث فيه إلى بانيستر في هذه الغرفة؟ لو أننا فقط عرفنا ذلك!

- هذا هو استنتاجي.

- لا بد من وجود احتمال آخر يا سيد هولمز... لا أدري إن كنت قد لاحظت نافذة غرفة نومي.

- إنها مزودة بشبكة ولها إطار من المعدن وتتكون من ثلاثة ألواح منفصلة، يتحرك أحدها على مفصلة وهو كبير بما يكفي لإدخال إنسان.

- تماماً، وهي تطل على زاوية من الفناء، وهكذا فهي غير ظاهرة جزئياً، فمن المحتمل أن يكون الرجل قد دخل من هناك وترك آثاراً فيما هو يمر عبر غرفة النوم، وأخيراً حين وجد الباب مفتوحاً هرب منه.

هز هولمز رأسه بنفاد صبر وقال: فلنكن عمليين. فهمت مما قلته لي أن طلاباً ثلاثة يستخدمون هذه السلالم، كما أن من عادتهم الدخول إلى غرفتك.

- نعم، صحيح.

- وهم جميعاً تقدموا لهذا الامتحان؟

- نعم.

- هل لديك سبب يدفعك للشك بأي واحد منهم أكثر من الآخرين؟

تردد سومز ثم قال: إنه سؤال حساس جداً، فالمرء لا يحب أن يرمي بالتهم جزافاً دون دليل.

- دعنا نسمع الشكوك وسوف أسعى وراء الأدلة.

قال: سأخبركما إذن بكلمات قليلة عن شخصية الطلاب الثلاثة الذين يقطنون هذه الغرف. الذي يسكن بالطابق السفلي هو غيلكريست، وهو تلميذ جيد ورياضي يلعب في فريق الجامعة للرغبي والكريكت، وقد حصل على المرتبة الأولى في سباق الحواجز والوثب الطويل. وهو شخص طيب ذو نخوة، وكان والده هو السير غابز غيلكريست السيئ السمعة، الذي دمر نفسه في مراهنات سباق الخيل ليترك تلميذي فقيراً جداً، ولكنه تلميذ مُجِدِّ مجتهد وسوف يبلي بلاءً حسناً.

أما الطابق الثاني فيسكن فيه دولات راس الهندي، وهو شخص هادئ ويكتنفه الغموض مثل كل الهنود، ولكنه متفوق في دراسته، وإن كانت اليونانية هي مادة ضعفه، إلا أنه حسن السلوك ومنهجي في تفكيره.

الطابق العلوي يسكنه ميلز ماكلورين، وهو شخص عبقرى حين ينوي العمل، فهو أحد ألمع الطلاب في الجامعة، ولكنه عنيد متفلس لا مبادئ له، وقد كاد يُفصل في عامه الأول بسبب ارتكابه بعض المخالفات، وكان يتكاسل طوال هذا الفصل الدراسي، ولا بد أنه يخشى هذا الامتحان وينظر إليه برعب.

- فهو من تشك فيه إذن؟

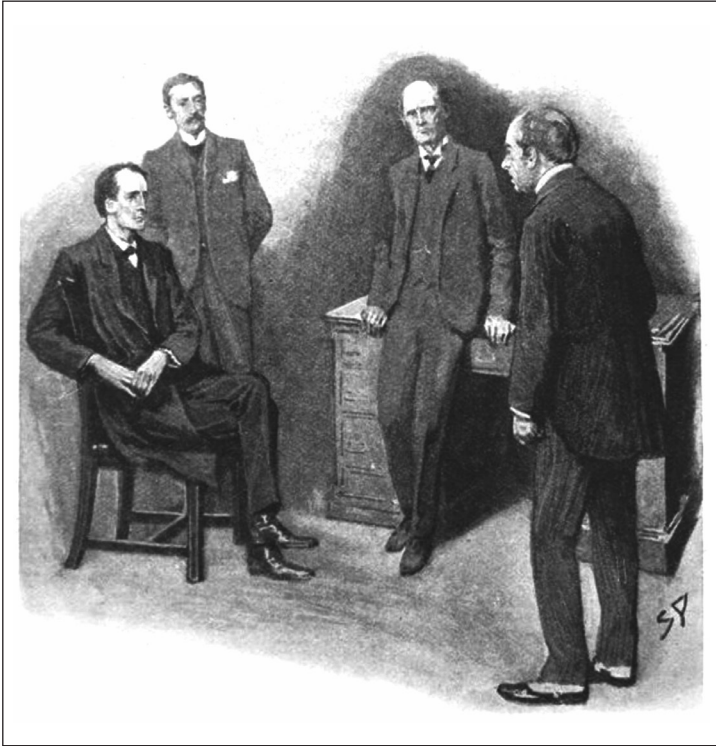
- لا أجرؤ على الوصول لهذا الاستنتاج، ولكنه قد يكون أكثر الثلاثة ترجيحاً.

- تماماً. والآن يا سيد سومز، لنقابل خادمك بانيستر.

كان الخادم رجلاً ضئيلاً في نحو الخمسين من عمره،
شاحب اللون حليق الوجه ذا شعر أشيب، وكان ما يزال يعاني
من الاضطراب المفاجئ لروتين حياته، فقد كان وجهه الممتلئ
ينفض من العصبية ولا يستطيع أن يتحكم في رعشة أصابعه.

قال له سيّده: نحن نحقق في هذه القضية البغيضة يا
بانيستر.

- نعم يا سيدي.



Sidney Paget (1904)

رسم سدني باجيت (١٩٠٤)

قال هولمز: فهمت أنك تركت المفتاح في الباب؟

- نعم يا سيدي.

- أليس من الغريب أن تفعل ذلك في نفس اليوم الذي كانت فيه هذه الأوراق بالداخل؟

- لقد كان ذلك من سوء الحظ الشديد يا سيدي، ولكنني صنعت الأمر نفسه سابقاً في بعض الأحيان.

- متى دخلت إلى الغرفة؟

- في نحو الرابعة والنصف، فذلك هو الوقت المعتاد الذي يشرب فيه السيد سومز الشاي.

- وكم بقيت؟

- عندما اكتشفت غيابه انسحبت على الفور.

- هل ألقيت نظرة على الأوراق الموجودة على الطاولة؟

- لا يا سيدي، بالتأكيد لم أفعل.

- وكيف حدث أن تركت المفتاح في الباب؟

- كنت أحمل صينية الشاي في يدي، وقدّرت أن بإمكانني العودة لأخذ المفتاح لاحقاً، ثم نسيت.

- هل للباب الخارجي قفل زمبركي؟

- لا يا سيدي.

- إذن فقد كان مفتوحاً طوال الوقت؟
- نعم يا سيدي.
- وهل كان باستطاعة أي شخص في الغرفة الخروج؟
- نعم يا سيدي.
- لقد انزعجت جداً عندما عاد السيد سومز وناداك،
أليس كذلك؟
- بلى يا سيدي؛ لم يحدث مثل هذا الأمر طوال سنوات
خدمتي الطويلة هنا. لقد فقدت الوعي تقريباً يا سيدي.
- هذا ما فهمته. أين كنت حين بدأت تشعر بالإعياء؟
- وأين أكون يا سيدي؟ هنا بجوار الباب.
- الأمر غريب. لقد قعدت على ذلك الكرسي هناك في
الزاوية، فلماذا لم تقعد على أي من هذه الكراسي الأخرى
التي مررت عليها؟
- لا أعرف يا سيدي، لم أهتم كثيراً بمكان جلوسي.
- قال سومز: لا أعتقد حقاً أنه أدرك ما فعله وقتها يا سيد
هولمز، فقد بدا مريضاً جداً وشاحباً شحوب الموتى.
- هل بقيت هنا بعد انصراف سيدك؟
- لدقيقة أو اثنتين فقط، ثم أقفلت الباب وذهبت إلى
غرفتي.

- هل تشك في أي شخص؟

- لا أتجاسر على القول يا سيدي، فأنا لا أظن أن أي سيد محترم في هذه الجامعة قادر على الانتفاع من مثل هذا التصرف. لا يا سيدي، أنا لن أصدق ذلك.

قال هولمز: هل ذكرت لأي من الطلاب الثلاثة الذين تقوم بخدمتهم أن شيئاً ما على غير ما يرام؟

- لا يا سيدي، ولا كلمة.

- ألم ترَ أحداً منهم؟

- لم أفعل يا سيدي.

- جيد جداً، والآن يا سيد سومز ستتجول في الباحة لو سمحت.

* * *

سطعت ثلاثة مربعات من الضوء وسط الظلام، فقال هولمز وهو ينظر إلى الأعلى: إن طيورك الثلاثة في أعشاشها. يا للعجب! ما هذا؟ أحدهم يبدو قلقاً.

كان هذا هو الهندي الذي ظهر خياله خلف الستارة فجأة وأخذ يذرع غرفته ذهاباً وإياباً بسرعة شديدة، فقال هولمز: أودّ أن ألتقي بكل واحد منهم، هل هذا ممكن؟

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل
أن تكون قد استمتعت بقراءة جزء من هذه
المجموعة القصصية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذا الكتاب
(وسواء من الإصدارات) من موقعنا مباشرة،
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com